

باب المناظرة والمراسلة

سبحان المامت

بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام*

«لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان»

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما فصاحفيا فيلسوفا لغويا فمناظرة فروائيا مبتدعا فمفسرا فمؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندري ما يعرف منه اهل سورية قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جليلة قلما يخلص بعضها لافئاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بملخصها لحضرتة أفادت من لا يحصى عددهم من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشرقيات من الأوربيين وغيرهم ممن لا يجون مطالعة الكتب العربية أو لا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل والمستلح والمستنكر فكنا لا نتعرض لها بمسح أو نسخ لعلنا ان الذي قاده الى هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفضي بصاحبه في النثر الى مثل ما يفضي به في الشعر فيكون أعذبه أكذب ، ولا اعتقادنا ان نعمها اكبر من اثمها ، وان الكتب العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الفث من السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه هوى النفس والسخائم الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ما نذ

(* بقلم الشيخ احمد الاسكندري

وندر ، فلما قرأت تعريظ حضرة الفاضل (المغربي) أحد محرري المؤيد لكتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولانا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤيد بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاعراب مما لو قبله القارىء لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاريخ جاهليتها الاولى المنصور في بطون القدم قد نبشه المؤلف من ناووسه ، فرايبى قوله - والمديفة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كعادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للعشور على الضالة المشرودة والحلقة المفقودة من تاريخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزيز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب باللاف أخذ مناقص بناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة هاجت في نفسي ميلا الى تحفه ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كعادته في كنهه غموض تاريخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تعذره الاعلى من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات لطيفة والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم هيدا في مصادر تاريخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الآثرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والآثرية وغيرها (كما يقول) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة اثمانه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزوا بسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب باعنان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوردية يستفيد من الكتاب
أولا — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية
غثة كانت أو سميثة

ثانيا — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثا — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا

رابعا — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبطي والتدمري عن العربي
الفصح وهي فوائد تشكر للمؤلف اذا عتمها في كتاب مستقل

الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب اواسط الجزيرة وشمالها
الى قحطانيين (يمانين) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فصدده ان مثل طي
وكندة وخطم وجدام ومدحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و ١٨٣) قال :

«وكل هذه البطون أو القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يمتلئ
ذكرة من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذ اتدبرت احوال هذه الدول من غسان وحم وكندة رأيتها تنطبق على العدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حبر بل لغة العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بلاد الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الأمي الى المتدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أترا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سبل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعومها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السيل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحيريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغنى الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو العدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نحوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو اليمنية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

ونحوهم ومنها الحارث وثعلبة وجبلة والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين أسماء بلوك حمير من أمثال هذه فإن أكثرها مبدل بأسماء شالية وإنما عمدتنا في ما ذكرناه على الأسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

«فلا دليل على قحطانية هذه الامم إلا أقوال النساين وهي أضعف من ان يقول عليها في هذا الشأن لاحتمال ان تكون تلك الامم قد اتحدت الانتساب الى عرب اليمن التماسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سما بعد ان تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عمالمهم » اهـ

وتقول في دحض هذه الاقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فإن الاختلاف فيها إما أن يكون في الاصول وإما في الفروع أما الاصول فإيكن بينها خلاف جوهرى لأن لغات العرب كلها من اصل واحد كما اعترفت به حضرتها وأما الفروع فلم ينكر احد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الاعراب والتصريف والقلب والاعلال والابدال مملوء به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والادب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها الى ازهاق الارواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكلنا يعرف ماهي المعجزة والشنشة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من اصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن تقول ان قبائل حمير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لانحادها مع العدنانيين في الاصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الاسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثيرا من مقالات وفود الحميريين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية الا في معاني بعض المفردات . وإنما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والمجامع والأسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه ان الهمازين كانوا هم الاقوياء العالمين فذلك على فرض تسليمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من القارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بمد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جيات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيرا عن ان أم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كاهل الصفوي والشمودي واللحائي وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجربة بلا سبب عظيم وأن سيل العرم لا يكفي لتفرقهم أيادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الأمم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الأرض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه التقفار بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الحيرة بالانبار وفي سورية وفلسطين فلقد احتلوا في الأولى جميع الأراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وثانياً ثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحلب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية اليمانيين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بمد مناقسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى (وجاهوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقناهم كل ممزق) فإن الظاهر من الآية ان التزيق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا دخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) واما دعوى اتحادهم في المعبودات فلان سلم انهم كانوا كانوا عدنانية من كانت خليطاً من كل الأديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما تهوّد وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والبيئة وتمازجهم في كل شيء كما يسمي الأقباط الآن أنفسهم بأسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب وانترك وكما يسمي الترك أنفسهم بأسماء عربية مع أنهم هم المغالبون للعرب وكما يسمي السوريون أنفسهم بأسماء إنجليزية وفرنسية على أن هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود أسماء عدنانية بين أسماء الجيريين نقض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الألماني أحد الأتريين اللذين وجدها في اطلال السد وهذا كعبه ابرهة قبيل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقبال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وثمامة وحنش ومرند وكل هذه أسماء عدنانية كما ان مديكرب الزبيدي إسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميرتها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نثني بها جميعها في هذه المقالة وهي بانفة بسراحتها الى أفق البدييات

فإنها اعتراف بجميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضر بين بعد الاسلام وتمصب المضرية واليمانية في اليمن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب

ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحماسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضعافا (لما بقية)

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

(الكلمة الثالثة) — في بيان ما استشكله الاستاذ الشيخ الياضي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن — ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والمنسوخ ونقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحو الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (ما ننسخ) فالجرد للنسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان ببعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان التقدير فيها : ما ننسخ من مثل آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما معنا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمثلها الاولون وقوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحججة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأبي عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها ؟؟

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسبتها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلا في الاقناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان ويقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقها وأعم فائدة وأتم دليلا وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآن أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوروبا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوا أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرة غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عالم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما ارادهم عنادا وكفرا (فقالوا أرنا الله جهرة) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لا وصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل (المناجج ٩) (٨٧) (المجلد الحادي عشر)

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومات يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رضعات معلومات) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وغير ذلك كثير !!

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالاتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لها أن قوله تعالى فيها (فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) الخ معناه إن لم تفعلوا ما نددتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتمكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا ندبكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرفقة والرحمة فأقيموا الصلاة الخ فقوله (وتاب الله عليكم) قد ورد هنا بمعنى الرجوع الى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والعدول عن معاملتها كسابقها لا بمعنى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى (علم أن لن نحصوه فتاب عليكم) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الأستاذ الفاضل الشيخ الياقوبي متقدا على تفسيرنا لآية (واذا بدلنا آية مكان آية) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . ونقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والمواقفة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فانهم واقفوا أهل الكتاب منهم في دعائهم الباطلة وعاتروا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن (أضفنا أحلام بل اقتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الآوان) فانهم لا يؤمنون برسول الاوين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن تخالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظة له ولذلك ترى في القرآن آيات

بعثه في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكونك وعندهم التوراة - إلى قوله -
وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)
(الكلمة الرابعة) - بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تزيد اليقين

أولا - قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصلاح والتقوى
لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيفتخر
به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه وتستره . وقد يكون
بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه ينخدع لظاهر هو لأه المناقنين فيأخذ
الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله
ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المناقنين وظواهرهم وتجنب إسائة الظن
والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسداجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين
وكثرة ما يضعونه من الاحاديث بشوش على الناقدن الباحثين عملهم ويوقمهم في
الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون أحيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح .
ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله
كذب وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه .
وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الأحيان الى أن يكذب ولو
واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من ان يكون فيه بعض الكذب أو المبالغة

ثانيا - قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه
يخطيء المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقدا انه صحيح . والتحديث
بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك
بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت
لأرى أي لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن
ذلك أن رجالا من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت
ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن
قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا - إثبات عدالة رجال الاسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فان ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم ورعا أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا - أكثر الأحاديث والروايات مقتضية فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجاً كلياً أو جزئياً

خامسا - من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا نقصا عسير جدا على الناس إلا من شد وقليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مفتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الأقرآت والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة

سادسا - قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل رواتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذاكرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الأستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأغر . ومن اعتمد على ذاكرته فقط لا نبره من الخطأ والنسيان في جميع الأحوال معها كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطورء مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وان أراد أن ينكر ذلك الأستاذ الياقبي زاعما أنها تفيد اليقين

وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكبر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الأمة الإسلامية من العناية والنمحيص في الروايات والنقد والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الإسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردتها على روايات الآحاد فان حجة ناهضة بالتواتر فيه والمجمع عليه فليهدأ المسلمون بالأ

(الكلمة الخالصة) -- في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لاجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرضون) . في هذه الآية

ـ وأمثالها في القرآن كثير ـ يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

نطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخرصون ـ الى قوله ـ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطرونا إليه كما في بعض الأحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فإنه محرم على الانسان أن يحمل شيئاً أو

يجرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الأستاذ الفضل الشيخ الياقبي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لاشك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الأمثلة على ذلك : ـ

(١) خالفوا قوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرموا أكل الجرا لاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيرا لما رووه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرمها مع أن القرآن الشريف يقول (قل لأجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) الآية . ويقول (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجرمة استعمال الذهب والفضة والحريز للاحاديث التي رووها والقرآن يقول (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحطون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حريز (٤) حرموا أن تنكح المرأة على عمها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من يفتن المرأة على عمها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطبي بالظني وهو مما نكرهه ونذمه وقد نذمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الأستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل بمقل أن الله يبيح للمسلمين ما كان ينفم لأجله غيرهم في كتابه ؟ ١١

أنا لأقول إن جميع هذه الاحاديث يجب ان تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلب الظن أن له أصلا صحيحا وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الاسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأملها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم تأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتنزل من بينهم بزوال علل وأسبابها كما سنينه ان شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة اطولها . فالسالمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الأشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلمونها ما يوجب الطعن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرفنا إليه في الكلمة الاولى . فلولا تعاليمهم في اعتبار الاحاديث لما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لعزا

وإني لاعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يختمهم أم عليهم العمل به بمجرد نسبه إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الأمر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فساده وأما الأمر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يفتي حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا ان التقليد في الإسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدم ويمحص كل ما وصله في الاحاديث وما يصله بنفسه والا بقي ديننا ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد على رجال الاسانيدو بعدد مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (لها بقية)

مناظرة عالمين (*)

(في مجلس المأمون)

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قد بما لأنه يكون إذ ذك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وإن أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كان حادثاً

هذه المسئلة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويعدب . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث — ويسمى (المعتزلة) — فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثمة كانت صولته أشد ، وعامل جبروته انفذ ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وثقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، وكان الناس لهده يسترون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجماعة ، ويتسألون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من تعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشراً المريسي ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جراً أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه الحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

(لصدیقنا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي تزیل مصر

(المارچ ۹) (۸۸) (المجد الحادي عشر)

ويتعودون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكنانى (الذي نلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) اتصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استظال عليهم بشر المرسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه، فأطال هي هذا الخبر، وأطار نومي، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامتي حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي. ثم إن عبد العزيز جمل بعد وصوله إلى بغداد يتهل إلى الله أن يسدده، ويثبت عزيمته، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديته، فبداه أن يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل أن يسمع كلامه، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتنفية آرائهم وطلب محاجتهم، فإن إظهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اختياله قبل مناظرته، واستماع قوله، ولم يكذب ينهي الام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حيا القبله والمنبر صوت رجل مكّي الزبي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي اقامه قبالة عند الاسطوانة الأخرى :

الاب -- ما تقول في القرآن ياني ؟

الابن -- كلام الله منزل غير مخلوق ياأني

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهر بوا على وجوههم خارجين من المسجد، وأسمرت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذلك عمرو بن مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس -- أجهنون أنت ؟

عبد العزيز -- لا

الرئيس -- موسوس ؟

عبد العزيز -- لا

الرئيس -- مقنونه ؟

عبد العزيز -- لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فظالم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لأصحابه - مروا بهما سحبا الى منزلي .

فاختلما الشرطة، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا، وايديهما في أيديهم بئنة
ويسرة، حتى صاروا بهما الى منزل الرئيس على هذه الحالة الفليضة، فادخلا عليه

وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (١)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القرية الى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا اظهار المخالفة لامير المؤمنين !

ولكن أردت الشهرة والرياء والسؤدد لتأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لاغير ذلك .

الرئيس - أو تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت، وبلغت بنفسي ماترى، وتفريري بنفسي

وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في

كتابه، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (٢)

الرئيس - إن كنت انما جمعت هذا سببا لغيره من المطالب اذا وصلت الى

امير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شيء غير هذا، وجعلت هذا ذريعة اليه، فدمي حلال

فوثب الرئيس وقال لأعوانه أخرجوه بين يدي، فأخرجوني أنا وابني بين يديه

وهورا كب على فرسه، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيديهم، حتى وصلنا

(١) الشوار: اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (٢) فليعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على الامون ، وبقيت
أنا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمر بي :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألتك من الجمع
بينك وبين مخالفتك للمساخرة بين يديه ، وقد أمر أطل الله بقاءه وأعلى أمره باجابتك
الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم
الاثنين الاذني ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم
عبد العزيز — أطل الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا
حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عرك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد
أحدا ، ولا يعرفني من أهلها أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع اظهاري
مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لتبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .
الرئيس — نوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم ، وتنصرف
فتصلح من شأنك ، وتفكر في أمرك ، فلعلمك ترجع عن نيك ، وتتوب من فعلك ،
فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فأفعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم
الاثنين حمل عبد العزيز مكرما الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، نيس الشرطة
فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلا على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامة عاقبة مخالفة
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروده ، وانه نيس حينئذ إلا السيف ، وانه إن ندم
ورجع عن مقالته سأل أمير المؤمنين الصفح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من
حاجة ، فأجابته عبد العزيز بأنه ما خرج من بلده إلا رجاء إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجليه — قد حرصت على خلاصك جهدي وانت

حريص على سنك دمك جهنك

عبد العزيز — معونة الله أعظم وأبلغ من أن ينساني ، وعدل أمير المؤمنين

وسم من أن ضربة

وسمعت رجلا من جلسائه يقول - وقد دخلت الديوان - يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، في الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهامنه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا على ما كنت فيه من الجزع والرعدة .
قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظري وأنا ارتعد خوفا وانتفض، واحب ان يؤنسني ويسكن روحي فطفق يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كلة إنامي، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدير نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد اتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد اتفخ وسيقع فبادرني قلعه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون - ما الاسم ؟

عبد العزيز - عبد العزيز

المأمون - ابن من ؟

عبد العزيز - ابن يحيى بن مسلم

المأمون - ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز - ابن ميمون الكناني

المأمون - أو أنت من كنانة ؟

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيئة لا يتكلم

المأمون - من أين الرجل ؟

عبد العزيز - من الحجاز

المأمون - ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز - من مكة

المأمون - ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يا أمير المؤمنين قل من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل
ضوى (لجأ) ، اليها أو من جاور بها ، فاني لا أعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا (وجمل يمدد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم

المأمون - وأولادهم وانسابهم . (وذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين اني اسي ، و بسطي للكلام وتسكين
روعي وجزعي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقني من الجزع ، وجاءت المعونة من
الله عز وجل ، فقوي مظهري ، واشتد قلبي ، واجتمع فهمي ، ثم اقبل المأمون عليّ وقل
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامات في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن
كلام الله الخ . بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستتك بذلك من الجمع
بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
المخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك ، وان استقلت اقلناك .
ثم اقبل عليّ بشر المرسي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه .
فوثب بشر من موضعه كالاسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فأمحط عليّ فوضع ركبته
وفخذ الايسر على فخذي الايمن فكاد أن يطمه ، وغمز عليّ بقوته كلها ، فقلت مهلاً
فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلمي ، وانما أمرك بمناظرتي وانصافي ، فصاح به
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم اقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز تناظره علي ما تريد ، واحتج عليه ، وبتحج
عليك ، ونسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، تحفظا الفاظكما ، فاني مستمع عنكما
فحفظ الفاظكما . فقلت السم والطاعة لأمير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان
يشرح في مناظرة خصمه ما لم ينقم من ذلك البغيض الذي عابه لأمير المؤمنين
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف صاوات الله عليه
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه وبالاعليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تعبير الرؤيا ، صيره على خزائن الارض ، واعتزل الامور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال احنف على خزائن الارض اني حفيظ عليم ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين او كان وجهي أفتح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزيينه . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا تقول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ فقلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأني عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : قدر أيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، وتكر اتفاح الجص ، وصمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحلق . فهذا (يعني جليس السوء) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقضى مسائل المناظرة او تلخصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرنا سأل عبد العزيز سو الأء وكلفه جوابه ، وواقفه المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فبند ذلك جعل ابن الجهم وغيره من شيعة بشر بضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق ورهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وطمعوا في قتل عبد العزيز ، وجثا بشر على وكتبه ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأني بشر وهو المناظري ، فضجيج هو لاء ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست أتكلم ما لا يسكتوا ، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، واقبل علي وقال تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فسكمت وأخذنا في المناظرة

قال عبد العزيز : وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين تكلم
بجاء بألف شيء فقلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه
بالضجيج والترويح بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزهقه، فصاح المأمون يبشر أقبل على صاحبك ودع
هذا الضجيج وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم .

قال عبد العزيز : وكثر تبسم المأمون من قولي حتى خطي يده على فيه واطرق
يكتب في الارض بيده على السرير
ومما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء والقرآن شيء من
تلك الاشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاسته : قال تعالى «ويحذركم الله نفسه» فله نفس وقال
تعالى «كل نفس ذائقة الموت» فتقول يا بشر ان نفس الله داخلة في هذه النفوس؟
فصاح المأمون باعلا صوته وكان جهوري الصوت ماذا الله معاذ الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبدالعزير
يلحظ حجج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بعشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من
مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكنثها من الغم والحزن وجعل الناس يبيئون الي
أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ،
قالوا لا بد أن تلي علينا ما جرى لنعرفه وتعلمه فهبت ذلك وتخوفت سوء عاقبه ،
فما ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ماجرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حبر
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أوقافا مختصرة لا تقلمهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي